ثم استدعى احد الضباط ليرافقني الى الديمان ويعود بالاحتجاج مُوقّعاً عليه من غبطة البطريرك ويستردّ صورته الاصلية . ولدى وصولنا الى بيروت استشرتُ بعض اصدقاء المقام البطريركي في شأن الاحتجاج فأشاروا بوجوب التوقيع عليه بعد ما اطّلعوا على كل الظروف لانهُ ما من احد الّا ويعلم ان البطريرك أُجبر على امضائه وانهُ اي الاحتجاج تكون نتيجته بعكس ما تقصدهُ الحكومة . ولدى وصولنا الى الديمان واطّلاع غبطته على كل ما جرى صار تبييض الاحتجاج وتسليمه الى الملازم فحمد وانصرف اليوم الثاني الى دمشق

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمُعجز

وفي اليوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير الى مجلسهِ فصرتُ اليه . واوّل ما صرتُ اليهِ وجلستُ قال لي (٥٢) :

ما العلّة في محبّة اكثر الناس لأديانهم اكثر من محبّتهم لاحوالهم واسبابهم ؟

قلتُ : انّ الناس في ذلك على ضربَين فمنهم من يحبُّ دينهُ بالعادة والمتابعة لأسلافهِ ومنهم من يحبُّهُ لتحقّقهِ وصحّته

قال : فمن اين يتحقّق الانسان صحّة دينهِ ؟

قلتُ : امّا من العقل الصحيح وامّا من المعجز الالهي

قال : فحبّتك انت لمذهبك محبّة العادة والمتابعة لأسلافك او محبّة من يتحقّق صحّة مذهبهِ ؟

قلتُ: محبَّة من يتحقَّق صحَّة مذهبه

قال: فتحقُّقك صحَّة مذهبك من اي وجهٍ هو أمن العقل او من العجز الالهي؟

قلتُ: منهما معاً

قال: وكيف ذلك؟

قلتُ: «امَّا من العقل فلأنّي رأيتُ انَّهُ لا ينتقل احد من مذهب الى مذهب الَّا لاحد امرين: اما رغبةً واما رَهبةً. فأمَّا الرغبة فبمنزلة الصلة والاموال والعطايا والاباحة في اللذَّات والتنقُّل من امرٍ صعب الى امرٍ سهل وما شاكل ذلك(٥٣) من الامور التي تتوق النفس اليها. وامَّا الرَّهبة فمثل الخوف من القتل واستباحة الحريم وما شاكل ذلك ممَّا تكرههُ النفوس

«ووجدتُ المتنقّلين الى مذهب النصرانيَّة فاذا هم لم ينتقلوا اليهِ لأحد هذين الامرين. وذلك لأنَّ الداعين اليهِ كانوا السادة الرسل وكانوا ذوي فاقة ومسكنة لا أرباب اموال فيبذلونها لمن يتبعهم. لأنَّهُ يستحيل ان يكونوا ذوي اموال والكتاب الذي معهم يحثّهم على اطّراح الاموال والقنى الدنيويَّة. ثمَّ لم يبيحوا ايضاً اللذَّات لأنَّ الكتاب الذي في ايديهم يأمرهم باطّراح لذَّة الطعام والشراب وترك الدنيا وسائر نعيمها. ولا نقلوا من امر صعب الى امر سهل لأنَّ كتابهم يأمرهم بضدّ ذلك

«ولا نقلوا المدعوّين الى النصرانيَّة بالخوف والسيف والامور المفزعة لأنَّ الكتاب الذي معهم يأمرهم بالتواضع واحتمال المكاره والاحسان الى الأعداء والدعاء لهم وعَرْض الدين على الناس بالقول مع الزهد (٥٤) في الدنيا وجميع لذَّاتها. فمن قبل الدعوة ودخل في دين النصرانيَّة ألزم بتفريق امواله واحتمال اعدائه وترك عزَّة النفس والتفاخر بالدنيا. ومن لم يدخل فيه ناصَبَ الداعي وقاومهُ وان رام قتلهُ بذل الداعي نفسهُ لهُ حتى يقتلهُ من غير الاستعانة عليهِ ببعض المخلوقين

«فلمَّا رأيتُ ذلك ووجدتُ انهُ قد دخل دينَ النصرانيَّة فلاسفةُ اليونان وحكماؤهم وامم كثيرة وملل مختلفة وممالك متباينة مثل الروم والافرنج والبُلْغر والقبط والنوبة والارمن والسريان والفرس والترك (١ واهل الصين وغيرهم من الامم لا لرَهبةٍ خافوها ولا لرغبةٍ رجوها علمتُ أنهم انَّما لم يدخلوا فيهِ الَّا لعجزٍ الهيّ قادهم

١) راجع في المشرق (١٦[١٩١٣]: ٧٥٤-٧٧٢) مقالتنا في تتمّر قدماء الترك والمغول

اليه . وهذا مما استدللتُ به من العقل على صحّة مذهب النصرانيّة

« فأمّا ما استدللتُ به من المعجز على (٥٥) صحّة ذلك فهو انني شاهدتُ اشياء كثيرة عجيبة يجب على من شاهدها او بعضها ان يلزم نفسهُ الموت في محبّة دينه . فممّا شاهدتُهُ (١ انّهُ كان في دُسْر مار ميخائيل في الموصل راهبٌ شيخ فاضل اسمهُ يوحنّا ويُعرَف بالاعرج وكنتُ من بعض تلاميذه المتخصّصين به . ولمّا حصلتُ بالموصل وكانت لحُسام الدولة وجناح الدولة (٢ رحمها الله أُقيم ناظرًا عليها من قبل احدهما ابو الحسن ابن سرور رحمهُ الله . فاستدعاني هذا الراهب في بعض الأيام وقال لي : اريد ان تمضي الى ابي الحسن ابن سرور وتقول لهُ عني ان يأخذ الحذر لنفسه بان يهرب او يستتر فانّ نيّة صاحبه قد تغيّرت عليه وانا خائف عليه . فقلتُ : السمعُ والطاعة وانا ادخل اليه اذا أمسى النهار وأبيت عندهُ واعرّفهُ ما رسمتهُ . فانفصلتُ عنهُ على هذا . فلمّا اضحى النهار انفذ في طلبي دفعةً ثانية فمضيتُ اليه فقال لي : اعلم انّ امر (٥٦) ابي الحسن قد قوي وان انتصف النهار ولم يهرب خفتُ عليه والآن قم مُسرعاً فلعلّك تُنذره قبل ان يُؤخذ . فقمتُ في الحال من باب قلايته وتوجّهت الى الموصل مُسرعاً . فلمّا وصلتُ الى الدير الاعلى سمعتُ اذان صلاة الظهر فاسرعتُ في المشي ووصلتُ الى دار ابي الحسن فوجدتُهُ قد قُبض عليه في ذلك الوقت وهو مقيّد . فرجعتُ الى الدُسْر على حالي وعرّفتُ الراهب ما جرى . فاغتمّ ودعا لهُ بالخلاص ولمّا بكّرتُ اليه من الغد قال لي : اعلم انّ امر ابي الحسن يقرب ويخلص . وبعد أيام يسيرة قُرّر امرهُ على شيء قريب وأفرج عنهُ ورُدّ الى نظره

« وشاهدتُ من هذا الراهب وغيره اشياء عجيبة ليس يحتمل الوقت شرحها . ولم اورد هذا الخبر وانا أسوم الوزيرَ حرسهُ الله قبولهُ (٥٧) ولا غيرهُ من المسلمين أيدهم الله لكنّي أستفتيه أستفتاء في ذلك فاقول : ماذا يقول الوزير فيمن شاهد هذا وحقّقهُ

---

١) من المحتمل انّ الخبر الآتي ليس بالمعجزة اذ امكن الراهب ان يعرف الامر من احد الزوّار . وفي النصرانيّة من المعجزات الصحيحة عدد لا يُحيط به احصاء ممّا لا يمكن نسبتهُ الّا الى الله .

٢) حُسام الدولة هو المقلّد بن السيّد من بني عُقيل اصحاب البراق والجزيرة تولّى الامر في الموصل السنة ٣٨٦هـ وتوفّيَ الاثنتين سنة ٣٩١ (٩٩٦-١٠٠٠م) وكان جناح الدولة وزيرهُ اما ابو الحسين بن السرور فلم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

أليس هو حجّة الله عليه فيلزمهُ التمسُّك بالمذهب الذي شاهد ذلك منهُ

قال: اذا صحّ الخبر لزم التمسُّك بذلك الاعتقاد

قلتُ: «انا اقنع بذلك وامثلهُ فاذا كان الامر على هذا ثبت انّ محبّتي لمذهبي ليست محبّة العادة والمتابعة لأسلافي لكنها محبّة مَن قد تحقّق صحّة مذهبه من العقل والمُعجز». ثم عدل الوزير الى المفاوضة فيما لا يتعلّق بالدين. وانقضى المجلس. وكمل الفصل الرابع بمشيئة الله

المجلس الخامس

في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ

وفي يوم السبت الخامس من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي: اعلم اني شرحتُ للقاضي ابي يعلي المتكلّم حالَ المجالس التي جرت بيني وبينك (٥٨) وما سمعتهُ منك في التوحيد فأنكرهُ وذكر انّ النصارى لايعتقدون شيئاً من ذلك وانك اوردتَ ما اوردتهُ رغبةً في ازالة الشبهة والنظاعة عن مذهب النصرانيّة. وحكى ان النصارى لا يتمكنون من الاقرار بربٍّ واحد ولا من القول انّ الله واحد وحدهُ لا شريك لهُ. فما عندك فيما ذكرهُ؟

قلتُ: انا اكتبُ فصلًا بخطّي واعرضهُ بحضرة الوزير أيدهُ الله فيعلم منهُ أنّنا لا نعتقد الّا الهاً واحداً لا اله غيرهُ وانّ ما اوردتهُ بالحضرة العالية اعتقدهُ انا واهل مذهبي

وبعد ما جرى بيني وبينهُ مذاكرة ومفاوضة فيما لا يتعلّق بالمذهب خرجتُ من عندهِ. وعند حصولي في قلّايتي كتبتُ فصلًا هذه نسختهُ:

يقول ايليّا مطران نصيبين:

«أنّنا معشر النصارى الموحّدين نؤمن بربٍّ واحد لا إله الّا هو وحدهُ. لا شريك لهُ في الازليّة ولا مثلَ لهُ في الذاتيّة (٥٩) ولا نظير لهُ في الربوبيّة. ولا صاحب لهُ يعاونهُ ولا ضدَّ يقاومهُ ولا ندَّ ينازعهُ. وانهُ غير جسم وغير مركّب وغير مؤلّف وغير محسوس وغير متحيّز وغير متبعّض وغير متحيّل. فلا يشتمل حيّزٌ ولا يقبل عرَضاً ولا يحويهِ مكان ولا يحصرهُ زمان. قديمٌ بلا ابتداء. باقٍ بلا انتهاء. خفيٌّ في ذاتهِ ظاهر

في افعاله منفرد بالقدرة والكمال متوحد بالعظمة والجلال . مُعْدِن النعم وينبوع الحِكَم . مُحدِثُ كلّ شيءٍ لا من شيءٍ منشئ كلّ الموجودات من غير مادّة . وصانع الخلائق بامره ومكوّن البرايا بمشيئته . عالمٌ بالامور قبل كونها وعارف بالسرائر قبل إضمارها . حيٌّ لا يموت ثابتٌ لا يزول قويٌّ لا يحول قادرٌ لا يعجز . قريب لكل احد مجيب لمن يدعوهُ مغيثٌ لمن يرجوهُ . كافٍ لمن يتوكل عليهِ ملجأٌ لمن (٦٠) يلتجئ اليهِ . يديم النعم اذا قُوبلت بالشكر ويزيلها اذا قُوبلت بالكفر . يُعين الصالحين يجيب الطالبين . عدوّ العاندين قابل التائبين غياث المستغيثين . إله رحيم ربٌّ كريم خالقٌ حكيم . خلق الدنيا أنّى شاء وكما شاء . ويفنيها اذا شاء كما شاء . ثمّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي مَن في القبور . ويجازي الاخيار بايصالهم الى النعيم والاشرار بتخليدهم في الجحيم . الهٌ واحد خالقٌ واحد ربٌّ واحد معبود واحد . لا إله قبلهُ ولا بعدهُ ولا خالق الّا هو . ولا ربَّ غيرهُ ولا معبود سواه

« ونعتقد انّ ذات هذا الربّ الذي هذه اوصافهُ تقدّست اسماؤهُ ونطقهُ وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ جوهرٌ واحد في ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس . ونتبرأ اليهِ جلّ جلالهُ من كل من يعتقد انّ هذا الجوهر كالجواهر المخلوقة وانّ هذه الاقانيم الثلثة (٦١) هي ثلثة جواهر او ثلثة آلهة مختلفة او متّفقة او ثلثة اجسام مؤلّفة او ثلثة اجزاء او ثلثة اعراض معترضة او ثلث قوًى مركّبة اوغير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتجزّئ والتبعُّض . ونتبرأ من كل من يعتقد انّ نطق البارئ تعالى وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عرضان او قوّتان مثل نطق المخلوقين وحياتهم . ومن كلّ من يعتقد انّ لهذا الاله الواحد نظيرًا او ضدًّا او يعتقد انهُ جسم مؤلف او مركّب . ومن كلّ من يعتقد انهُ يشغل حيزًا او يقبل عرَضًا . ومن كلّ من يعتقد انهُ ينتقل من مكان الى مكان او يكون في جهةٍ دون جهة او انهُ رُؤي او يُرى (٦٢) . ومن كلّ من يعتقد انهُ نكَحَ او ينكح او نَسَل او ينسُل او اتّخذ زوجة . ومن كلّ من يعتقد انهُ يقدر ان يخلق الهًا مثلهُ او يعمل عملًا فيهِ فساد او قباحة . ومن كلّ من يعتقد انّ لهُ ابتداء او انتهاء وانهُ خلق الخلائق من عنصرٍ او مادّة . ومن كلّ من يعتقد انهُ لا يعرف الاشياء قبل كونها او انهُ طبيعةٌ يدبّر العالم بطبعها . ومن كلّ من يجحد النبوّات وظهور الآيات على ايدي الانبياء والرسل الصالحين . ومن كلّ من يعتقد انّ العالم

قديم غير حديث ويجحد القيامة والبعث والآخرة . فكلّ نصرانيّ يعتقد ان مذهبنا يجيز هذه المذاهب التي تبرأتُ منها او انّ لنا فسحةً في اعتقاد بعضها فلينكر ذلك عليّ » (٦٣)

ولمّا كان من الغد حملتُ هذا الفصل الى الوزير وعرضتُهُ عليه . فلمّا قرأهُ قلتُ لهُ : أيجوز ان يُطلق مثلي خطّهُ بما قد تضمّنهُ هذا الفصل وهو واهلُ بيته يعتقدون غير ما يقتضيه مضمونهُ ؟

قال : لا

قلتُ : فقد بطل قول مَن حكى لحضرة الوزير أيّدهُ الله انّ النصارى غير موحّدين . وانّ الذي اوردتُهُ عنهم هو غير ما يقتضيه اعتقادهم وانني انّما قصدتُ به فقط ازالةَ الشنعة عنهم

قال : الامرُ على ما ذكرتَ وانا اعتقد انّ كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المذهب هو موحّد ولا خلف بينهُ وبين المسلمين الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله

ثمّ قال : اريد اذا سرّنا من نصيبين ان تعمل رسالة في التوحيد تضمّنها جميع ما اوردتَهُ عليّ في هذه المجالس وتجعل اوّلها هذا الفصل وتختمها بآخره وتضيف اليها ما تعلم انهُ مفيد ممّا لم يَجْرِ في هذه المجالس

فاجبتهُ بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومهُ بعد سيره فكتبتُ الرسالة على مقتضى مشورته ورسمه وقد كنتُ انفذتُ اليك (١ ادام الله حراستك نسختها وهي آخر ما جرى معهُ في امر المذهب والسلام . تمّ الفصل الخامس وفه الشكر (لهُ بتيّة)

مسالمة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها

من محاضرة القاها حضرة الاب رينه موترد اليسوعيّ كشلبار مكتب المتوق الفرنسوي

احتلّ الرومان انطاكية حاضرة مملكة السلوقيين تحت قيادة بومبيوس سنة ٦٤

(١) يريد ابا العلاء صاعد بن سهل المذكور في اوّل المجالس . امّا المقالة التي يشير اليها هنا فقد سبق حضرة الاب لويس معلوف بنشرها في المشرق (اطلب المقالات الدينيّة القديمة ص ٢٣٩) .